OPEN ACCESS DOLJ
ISSN 3135-4564 تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index مَجلّة عِلميّة مُحكّمة نِصف سَنَوية
مجلة القرطاس

الأسلوب القرآني في قصة آدم عليه السلام ـ دراسة أسلوبية في تنوع التعبير ووحدة المقصد

أ. عبد الرحيـــــم حسن محمد سليمان
كلية التربية الزاوية ، جامعة الزاوية، ليبيا .
a.sliman@zu.edu.ly
رقم الأوركيد: 0009-0006-1592-8727
تاريخ الارسال 2026/5/10م تاريخ القبول 2026/6/13م

The Qur'anic Style in the Story of Adam (Peace Be Upon Him) A Stylistic Study of the Diversity of Expression and the Unity of Purpose

Abd Alraheem Hassan Suleiman

Abstract:-
This study examines the Qur'anic style in narrating the story of Adam (peace be upon him) by exploring the diversity of Qur'anic expression and the unity of its
purpose across different passages. It highlights the rhetorical significance of lexical and structural variation in relation to context, demonstrating how these variations serve theological, educational, and literary objectives. The study also draws upon the works of Qur'anic exegetes and rhetoricians to reveal aspects of the Qur'an's stylistic inimitability.

الملخـــــــــص :

يتناول هذا البحث الأسلوب القرآني في عرض قصة آدم عليه السلام، من خلال دراسة تنوع التعبير القرآني ووحدة المقصد في مواضع القصة المختلفة، ويكشف عن الأسرار البلاغية في اختلاف الألفاظ والتراكيب تبعًا لاختلاف السياقات، مع بيان أثر ذلك في تحقيق المقاصد العقدية والتربوية والبيانية .كما يعتمد البحث على أقوال المفسرين والبلاغيين لإبراز وجوه الإعجاز الأسلوبي في القصة القرآنية

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2026. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

تمهيد :

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس، وجعل بيانه آيةً على إعجازه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، أفصح العرب لسانًا، وأبلغهم بيانًا، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن الحديث عن الأسلوب القرآني حديث عن جانب من جوانب الإعجاز الذي تحدّى الله به العرب، وكان إعجازًا في نظمه، وأسلوبه، واختيار ألفاظه، وبناء جمله، وترتيب معانيه، حتى أصبحت كل كلمة موضوعة في مكانها الذي لا يصلح لها غيرها، وقد أدرك عبد القاهر الجرجاني هذه الحقيقة حين جعل مناط البلاغة في النظم، أي في طريقة تأليف الألفاظ بحسب المعاني، لا في الألفاظ المفردة وحدها، فأشار في دلائل الإعجاز إلى أن سر البلاغة ليس في الكلمة منفردة، وإنما في موقعها من الكلام، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها.[1] وهذه الفكرة تعد مفتاحًا لفهم الأسلوب القرآني؛ إذ إن اختلاف التعبير في القرآن ليس اختلافًا شكليًا، وإنما هو اختلاف تفرضه المعاني والمقاصد والسياقات.

ومن الموضوعات التي يتجلى فيها هذا الإعجاز البياني قصة آدم عليه السلام؛ فهي أول قصة كاملة في القرآن، وبها يبدأ تاريخ البشر، وفيها تتحدد معالم العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان والملائكة، وبين الإنسان والشيطان، كما تُرسِّخ أصولًا كبرى، مثل :الاستخلاف، والعلم، والحرية، والابتلاء، والتوبة، والهداية ، وقد وردت هذه القصة في سبعة مواضع من القرآن الكريم، هي :سورة البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وطه، وص .والمتأمل في هذه المواضع يدرك أن القرآن لا يكرر القصة تكرارًا حرفيًا، إنما يعيد بناءها في كل مرة بما يناسب مقصد السورة ؛ فتارة يبرز جانب الاستخلاف، وتارة يبرز خطر الكبر، وتارة يركز على عداوة الشيطان، وتارة يصور رحمة الله بعباده وقبول توبتهم.

وهذا الأمر يطرح تساؤلا مهما من الناحية الأسلوبية البلاغية وهو: كيف حافظ القرآن الكريم على وحدة القصة مع تنوع أساليب عرضها؟ وما الأسرار البلاغية الكامنة وراء اختلاف الألفاظ والتراكيب بين مواضع القصة؟ وتنبثق عن هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة فرعية، منها:

لماذا بدأ عرض القصة في سورة البقرة بالاستخلاف، بينما بدأ في سور أخرى بالسجود؟

ما سر اختلاف ألفاظ الإغواء بين قوله تعالى :﴿**فأزلهما الشيطان**﴾ [2]، وقوله : ﴿**فوسوس لهما الشيطان**﴾[3]، وقوله :﴿**فدلاهما بغرور**﴾[4] ، كيف يخدم اختلاف الأسلوب مقصد كل سورة؟

غاية البحث :

يهدف البحث إلى بيان الخصائص الأسلوبية في قصة آدم عليه السلام من خلال الكشف عن العلاقة بين أسلوب القصة ومقاصد السور، وإبراز مظاهر الإعجاز البلاغي في اختيار الألفاظ والتراكيب وبيان أن اختلاف عرض القصة ليس من باب التكرار، وإنما من باب تنوع البيان ووحدة المقصد.

منهجية البحث :

يعتمد البحث على منهج التحليل الأسلوبي البلاغي، مع الإفادة من كتب التفسير، وكتب البلاغة القديمة والحديثة، وذلك من خلال تحليل النصوص القرآنية، والموازنة بين مواضع القصة، وربط الظواهر الأسلوبية بالمقاصد العامة للسور.

أولا ـ قصة آدم بين وحدة الحدث وتنوع الأسلوب:

القرآن الكريم لا يعرض القصص بالطريقة التي تعرضها كتب التاريخ، ولا يقصد إلى استيعاب جميع الجزئيات، وإنما ينتقي من أحداث القصة ما يخدم غرضًا تربويا أوبلاغيًا.

ولذلك فإن القصة الواحدة قد تتكرر في سور متعددة، لكن هذا التكرار ليس إعادة للألفاظ، ولا تكرارًا للمعاني، وإنما هو تنوع في العرض، يتغير فيه اللفظ، ويتقدم بعض الأحداث أو يتأخر بعضها الآخر، ويُذكر من التفاصيل ما يناسب مقصد السورة ، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عاشور في التحرير والتنوير عند حديثه عن القصص القرآني، مبينًا أن اختلاف عرض القصة تابع لاختلاف المقامات ومقاصد السور، وأن القرآن يختار من أحداث القصة ما يحقق الغرض الذي سيقت له في ذلك الموضع[5]، ويؤكد عبد القاهر الجرجاني أن اختلاف التعبير في المواضع المتشابهة ليس لمجرد التنويع اللفظي، بل لأن لكل لفظة موقعًا يقتضيه السياق[6]

ومن هنا يمكن أن نقرر قاعدة من خلال هذا البحث وهي: أنه لا توجد في قصة آدم لفظة يمكن استبدالها بمرادفها دون أن يتأثر المعنى البلاغي أو مقصد السورة ، وهذه القاعدة ستكون خيطًا ناظمًا لكل فصل من فصول البحث، حيث سننتقل من موقف إلى آخر، لنكشف كيف يوظف القرآن الكلمة والجملة، والحوار، والإيجاز، والتكرار، لخدمة المعنى الذي يريده.

المحور الأول ـ موقف التكليف والاستخلاف:

ويمكن أن نسميه موقف إعلان المهمة إن جاز التعبير وهو الموقف الذي حدث قبل خلق آدم وقبل حادثة السجود وقد عرض القرآن الكريم ذلك الموقف في سورة البقرة قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[7] ، وتعرض القصة القرآنية في هذه السورة مكانة الإنسان قبل الحديث عن ضعفه أو خطئه؛ فالإنسان في التصور القرآني مخلوق مكرّم، جعل الله له وظيفة في الأرض وهي الخلافة فمها هي دلالة هذا اللفظ في القرآن الكريم ؟

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بعدة اشتقاقات ، خلف ، خلائف ، اخلفني ، خليفة ، مستخلفين . خليفة صفة مشبهة على وزن فعيل أو هكذا يجب أن يكون الإنسان ملازما لهذه الصفة التي خلق لأجلها وفعلها خلف أي جاء بعد غيره ، أو استخلفه لينوب عنه ويقوم مقامه ؛ لذلك وصف الصديق بأنه خليفة رسول الله لأنه جاء بعد رسول لله ليقوم مقامه ، وينوب عنه في حكمه ، وإلى هذا المعنى أشار الطبري في تفسير هذه الآية بأنه خليفة يخلفني في الحكم بين خلقي أي أن الله جعل الإنسان في الأرض ليقوم بمهمة العمارة والحكم بالعدل وإقامة أمر الله ، وليس لأنه يخلف الله سبحانه ـ تعالى الله عن ذلك ـ بل يخلف من سبقه من المخلوقات أو يخلف بعضه بعضا[8]، وقال تعالى : ﴿**ويجعلكم خلفاء الأرض**﴾ [9] وقال تعالى ﴿ **ثم جعلكم خلائف في الأرض من بعدهم** ﴾ [10]ويشير ابن عاشور إلى أن معنى الخلافة بقوله :" وخلفيته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض بالإلهام والوحي وتلقين ذريته مراد الله تعالى من هذا العالم الأرضي"[11], ومما يؤكد هذا المفهوم قوله تعالى: ﴿**يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق** ﴾[12] فما قام به داوود عليه السلام هو إعمار الأرض بالزراعة والصناعة والحكم بما أنزل الله وإقامة العدل بين الناس ، وهذا أظهر معاني الخلافة الذي اختاره القرآن الكريم ليعبر به عن هذا المعنى ولن تجد لفظا ينوب عنه ويعبر عن المعنى كما يعبر عنه لفظ خليفة، فكأنه وضع لهذا المعنى ووضع هذا المعنى له وهذا من دقة الأسلوب القرآن في اختيار اللفظ الأنسب للمعنى المناسب، كما يلاحظ الإيجاز القرآني البليغ حيث عرض إعلان الإنسان ومهمته ووظيفته في الأرض في عبارة ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾[13] واختيار القرآن لاسم الفاعل (جاعل) ولم يختر (سأجعل) فيه لطافة وبلاغة حيث إن اسم الفاعل فيه دلالة على تحقق الفعل وثبوته لأن التعبير باسم الفاعل يجعل المعنى محققا ويوضح معنى قول الله للملائكة على أنه إخبار وإعلام وليس استشارة، فلو قيل (سأجعل) بالفعل لكان التركيز على مجرد حدوث الفعل في المستقبل، أما باختيار لفظ (جاعل) ففيه تصوير

للمشهد وكأن الملائكة أمام أمر قائم ومقرر، ولذلك جاء رد الملائكة بقوله: ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾[14] فيفهم من الرد أن الأمر محقق وواقع لذلك كان سؤالهم عن الحكمة في هذا الاختيار وليس عن حدوث الفعل من عدمه .

أسلوب الحوار: عرض القرآن الكريم هذا الموقف، موقف الاستخلاف والتكليف بأسلوب قصصي حواري فقال : وإذا قال ربك للملائكة، فالحوار بين الله وملائكته فما هي الحكمة الكامنة خلف هذا الأسلوب ؟ قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[15]

يظهر هنا أسلوب الحوار، وهو أسلوب قرآني يوقظ الفكر ويعرض القضية من خلال السؤال. وليس في سؤال الملائكة اعتراض على أمر الله، وإنما هو طلب فهم للحكمة، بدليل جواب الله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[16] فالآية تكشف من خلال أسلوب الحوار طبيعة هذا الإنسان وأنه يحمل قابلية الفساد، لكنه يحمل أيضًا قابلية العلم والإصلاح ، كما يكشف الحوار أن ما في هذا الإنسان من غرائز وشهوات وطباع هي من لوازم الاستخلاف في الأرض، والملائكة لما سألوا متعجبين: ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾[17] ظنوا أن الاستخلاف في الأرض لا يمكن إلا لمن جُبِلَ على التسبيح والتقديس كالملائكة فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون! لكن الله جل جلاله أجابهم بقوله: ﴿ إني أعلم مالا تعلمون ﴾ وصدق الله، فمن الخلافة في الأرض هي إعمارها بالزراعة والصناعة واستغلال مواردها المسخرة لهذا الإنسان وإقامة الدين ، فكيف لمن لا يأكلون ولا يشربون وليس لديهم غرائز حب التملك والرغبات في الحصول على الحاجات أن يعمر الأرض وهو لا يحتاج لها وما فيها ؟ ومن معاني الخلافة كما قال بعض المفسرين تتابعهم أي يخلف بعضهم بعضا فكيف يعمرها من لا يتوالدون ويتكاثرون ؟

وكيف تكون خلافة بإقامة الدين والحكم بما أنزل الله إن لم يكن هناك من يصد عن الدين، ويناصر الباطل، ويفسد في الأرض، ويسفك الدماء ليقوم الإنسان الذي يقوم بمهام الخلافة بالإصلاح والقصاص والدعوة ونصرة الحق؟

ويمكن القول أن الحوار كشف أيضا أن هذا الإنسان ليقوم بمهام الخليفة لابد أن يسيطر على غرائزه وشهواته ويضبطها ويوجهها لخدمة الهدف المرجو من الخلافة والضابط هو العلم الذي علمه الله لآدم وهدى الله، قال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾[18] ، وقال : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [19] .

ومن جمال الأسلوب الحواري في قصة آدم أنه يجعل القارئ والسامع لا يكتفي بمشاهدة أو سماع الخبر بل يشارك في اكتشاف ما وراء الخبر، ومن الناحية البلاغية فإن الحوار هنا لا يقصد مجرد نقل كلام الملائكة، وإنما يقود السامع إلى إدراك الحكمة من خلق الإنسان بطريقة تدريجية؛ فبدل أن يقرر القرآن مباشرة فضل الإنسان، جعل المتلقي ينتظر البرهان الذي سيظهر لاحقًا في تعليم الأسماء وهذه من خصائص الأسلوب القرآني؛ إذ ينقل القارئ من مرحلة السؤال إلى مرحلة الجواب، ومن الترقب إلى اليقين.

المحور الثاني ـ موقف التكريم :

الأسلوب القرآني يشير إلى أن تكريم الله جل وعلا لآدم عليه السلام كان تكريم شاملا لخلقته وروحه وعقله وعمله وذريته من بعده .

تكريم الخِلقـــة: قال تعالى: ﴿ إني خالق بشرا من طين ﴾[20] ، وقال أيضا: ﴿إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ﴾ [21] فالله جل وعلا شرف آدم وكرم بأنه خلقه بنفسه مباشرة، قال الرازي: " أضاف الله روح آدم إلى نفسه مباشرة تشريفًا له، بخلاف كثير من المخلوقات التي جرت على سنن الأسباب"[22] وقد ذكر الله أنه خلق آدم بيديه فقال تعالى ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ [23] وهذا التكريم والتشريف لم يذكر القرآن أن مخلوقات أخرى قد حظيت بهذا الشرف ، قال ابن عاشور: في إفراد آدم بالذكر وإسناد خلقه إلى الله مباشرة تنويه بمكانة الإنسان في نظام الخلق ، وكذلك قوله تعالى ﴿ فإذا سويته ﴾ ومعنى سوى الشيء إذا عدله وأقامه وأتمه فيقال سويت الأرض إذا جعلتها مستوية[24] ومن ألطف ماذكر في هذاالمعنى هو أن التسوية إكمال للهيئة الإنسانية حتى تصبح قابلة لاستقبال الروح[25]، وحتى تكون مهيئة للتكليف فهي ليست مجرد تعديل للأعضاء بل تهيئة الإنسان لحمل الأمانة التي خلق من أجلها وهي الخلافة في الأرض .

تكريم الـــروح : بعد مرحلة الخلق والتسوية تأتي مرحلة نفخ الروح وقد جاءت في السياق القرآني بالترتيب ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ وهذا تكريم آخر لروح هذا الإنسان التي هي من روح الله فقد نسبها الله إليه فقال ﴿مِنْ رُوحِي﴾ وهي إضافة تشريف، فالروح مخلوقة لله وليست جزءًا من ذاته، قال القرطبي إضافة الروح إلى الله من باب التكريم كما هي إضافة الخلق والتسوية لله [26] وهذا ما يؤكده الأسلوب القرآني في سياقات مشابهة منها ما ورد في حق عيسى ابن مريم حيث قال تعالى عنه : ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ أي خلق بغير أب بكلمة من الله (كن) وروح منه أي روح خلقت بأمر الله ونسبها الله إليه تكريما وتشريفا لعيسى ابن مريم ،

ويلاحظ أن الروح حظيت بأكبر نصيب من التكريم ؛لأن السياق القرآني من حيث الترتيب جاء كالتالي ﴿ إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين أي بعد نفخ الروح فيه مباشرة اسجدوا ! ولم يؤمروا بالسجود قبل ذلك، وكأن جامع التكريم والتشريف هي الروح التي تمنح هذا الإنسان الحياة ويحيا بها الجسد والعقل والنفس وبها يستطيع الإنسان أن يقوم بمهام الخلافة وبها يسمو عن جانب الطين؛ لأن الطين من الأرض والروح من الله، وإن ذهب بعض العلماء إلى أن السجود لم يكن إلا بعد التعليم، وهو قول من الأقوال وأن كان كبار أهل التفسير على أن السجود كان بعد نفخ الروح مباشرة [27].

وهنا نكتة بلاغية في اختيار القرآن الكريم لكلمة نفخ فليس المقصود بها النفخ الحقيقي الذي يقتضي آلة أو فما يثير الهواء كما في قوله تعالى في قصة ذي القرنين ﴿ قال انفخوا ﴾ أو في قوله ونفخ في الصور إنما اختيرت الكلمة لتحمل تعبيرا مجازيا فهي تصور سرعة إحياء الجسد وإفاضة الحياة فيه وجريانها في الجسد وتحول حاله من السكون إلى الحركة ، وهي بلغة أهل البلاغة استعارة تمثيلية شبه الله فيها إفاضة الحياة في الجسد بما يفعله النافخ حين يدخل الهواء في جسم خال فيتحرك ويكون الغرض البلاغي من ذلك التصوير هو التجسيد حيث عبر عن شيء غير مدرك بالحواس بشيء محسوس وهو الهواء والغاية تقريب المعنى من ذهن السامع، " وتقريب نفخ الروح في الحي أنه تكون القوة البخارية أو الكهربائية المنبعثة من القلب عند انتهاء استواء المزاج وتركيب أجزاء المزاج تكونا سريعا دفعيا وجريان آثار تلك القوة في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن في تجاويف جميع أعضائه الرئيسة وغيرها "[28] .

تكريم السجود : لعله أظهر مظاهر التكريم هو السجود الذي أمر الله به ملائكته ومن كان في حضرتهم بالسجود لآدم عند نفخ الروح فيه فما معنى السجود وما حقيقته في قصة آدم ؟

السجود في اللغة وضع الجبهة على الأرض ومن معانيه الخضوع والانحناء يقال سجد البعير إذا طأطأ وانحنى ليركب ، فأي المعنين هو المراد؟ هل سجود الملائكة لآدم كان بوضع الجبهة على الأرض كما هو السجود المعهود في الإسلام أم هو انحناء وطأطأة ؟ وهل هو سجود عبادة أم تعظيم وتكريم ؟

السياق القرآني للقصة يشير إلى أن السجود سجودا بنفس المعنى في الإسلام وهو وضع الجبهة على الأرض لقوله تعالى في سورة الحجر ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[29] والوقوع هو السقوط ، أي اسقطوا له ساجدين ، وهذا

التعبير يصور الهيئة التي يكون عليها السجود وكيفيته ، وقد أكد هذا المعنى عدد من المفسرين ، بأن السجود المأمور به هو وضع الرأس و الجبهة على الأرض لقوله تعالى في قصة يوسف ﴿ وخروا له سجدا) وهو هنا سجود تحية وقالوا أن سجود التكريم والتحية لم يكن محرما في الشرائع قبل الإسلام [30]، ثم إن الأمر جاء مباشرة من الله فهو من أمر بالسجود لآدم فكان سجود تكريم وتقدير وإعلاء شأن هذا المخلوق امتثالا لأمر الله ، ومن كمال التكريم أن السجود كان من جميع الملائكة بلا استثناء، لأن الأسلوب القرآني في تصوير هذا المشهد جاء مؤكدا بأكثر من مؤكد ، قال تعالى ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾[31] والجمع بين المؤكدين هنا ليس تكرارا للتأكيد بل لكل مؤكد وظيفة تختلف عن المؤكد الآخر ، فكلهم تفيد استغراق الأفراد أي لم يتخلف ملك واحد من الملائكة عن السجود ، وأجمعون تفيد اجتماعهم على الفعل واتفاقهم عليه دون تردد أو اختلاف [32] وبعد هذا التأكيد يأتي الاستثناء المنقطع باستثناء إبليس؛ لأنه ليس من جنس الملائكة بل هو من الجن كما ذكر القرآن الكريم ، ليظهر كمال الطاعة عند الملائكة وأنهم امتثلوا جميعا بلا استثناء ، ويظهر شذوذ إبليس عن هذا الإجماع ، إجماع الطائعين ليفسق عن أمر ربهم ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾[33]

لطيفة بلاغية : ذكر سجود التكريم والتحية في موضعين من قصص الأنبياء في القرآن الكريم في قصة آدم قال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ وفي قصة يوسف قال تعالى : (وخروا له سجدا) وكان هناك فرق في الأسلوب ، في قصة آدم جاء بالفعل فسجدوا فقط ، أما في قصة يوسف فجاء بالفعل خر ، فقال تعالى ﴿ وخروا له سجدا ﴾ والاختلاف في الأسلوب مقصود لاختلاف المقامين ، ففي قصة آدم المقصود هو الامتثال لأمر الله ، فالمقام مقام طاعة وامتثال والتركيز هنا على الاستجابة للأمر الإلهي ، أما في قصة يوسف فالمقام مقام انفعال نفسي وعاطفي فجاء التعبير بقوله (وخروا) ويعني سرعة السقوط من علو إلى أسفل ، قال تعالى ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) وقال تعالى ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ﴾ فكأن إخوة يوسف انفعلوا سراعا وسارعوا إلى السجود عن لقائه فهذا التعبير أبلغ في تصوير العاطفة والمشاعر ، وعندما أراد القرآن تصوير هيئة السجود اختار التعبير بالفعل وقع ، فقال تعالى: ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾[34] .

تكريم العلم : موضوع تكريم آدم بالعلم من أعمق المواضع البلاغية في قصة آدم، وقد توقف عنده المفسرون والبلاغيون؛ لأن القرآن لم يجعل سبب استحقاق التكريم والتفضيل على الملائكة هو القوة أو الصورة أو الأصل الطيني، وإنما جعله بالعلم،

فقال تعالى : ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[35] فالإمام الطبري يشير إلى أن العلم هو سبب إظهار فضل آدم ، وأن هذا التعليم كان حجة على الملائكة في أن آدم أهل للخلافة.[36]

فظهر بذلك اختصاصه واستحقاقه للتكريم بما علَّمه الله من العلم الذي لم يكن عند الملائكة ، وأشار ابن عاشور في تفسيره أن هذه الآية تدل على أن العلم أعظم وجوه الفضائل؛ لأن الله تعالى لما أراد إظهار فضل آدم لم يذكر كثرة عبادته ولا قوته، وإنما ذكر العلم ، وإن الملائكة امتازوا بالتسبيح والتقديس، لكن آدم امتاز بالعلم، فظهر أن العلم مقام عظيم وأن هذا يدل على فضل العلم لكنه لا يدل على أفضلية النوع البشري على الملائكة [37]، ثم إن العلم (تعليم الأسماء) جاء مناسبًا لمقام الاستخلاف في الأرض؛ لأن الخليفة يحتاج إلى معرفة الأشياء، والقدرة على التعامل معها، ووضع الأسماء والأنظمة لها وتسخير الكون وإقامة الدين .

لطيفة بيانية في قوله: ﴿ الأسماء كلها﴾[38] ففيه مبالغة في إظهار السعة العلمية التي منحها الله لآدم، مقابل قول الملائكة : ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ [39]، فالملائكة أعلنوا حدود علمهم، وآدم ظهر فضله بما علمه الله ، كما تظهر دقة الأسلوب القرآني في اختيار عبارة الأسماء ولم يقل علَّمه الأشياء ، لأن الشيء قد يرى ولا يعرف ؛ لذلك يقال للشيء عندما يرى ولايعرف ما هذا الشيء ؟ أما إذا عرف اسمه فقد صار داخل دائرة الإدراك والعلم؛ ولأن الاسم هو الذي ينقل الموجود من عالم الحس إلى عالم الفكر واللغة ، فتعليمه الأسماء ليس مجرد تعليم مفردات ، بل تعليم ملكة اللغة والبيان والتصنيف وهذه الخصيصة هي التي تميز الإنسان عن سائر المخلوقات ، وحيث الحديث في السورة عن مقام الاستخلاف فإن الخليفة يحتاج أن يعرف الأشياء وأن يسميها وأن يتواصل بها مع غيره ، واللغة هي أساس كل حضارة ؛ لذلك كان تكريم الإنسان هو القدرة على التسمية ، وقدم التعليم هنا على السجود في سورة البقرة دون غيرها من السور؛ لأن المقام مقام بيان علة التكريم ولماذا أمروا بالسجود لهذاالمخلوق الذي قالوا عنه ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾[40] فكان هذا الاختبار للملائكة بقوله ﴿ أنبئوني بأسمائهم ﴾ [41]فما استطاعوا ، ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم اقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون ﴾[42] فظهرت أهليته لهذاالمقام فهو يرفع بالعلم ويعمر الأرض بالعلم ويتحمل مسؤولية الخلافة بالعلم .

لطيفة بلاغية وهي اختيار القرآن الكريم لمصطلح (النبأ) بدل الخبر في قوله (أنبئوني – أنبئهم - أنبأهم) لأن النبأ كما يقول الراغب الأصفهاني هو الخبر الذي له

شأن وفائدة عظيمة ، يحصل به علم أو غلبة ظن ولذلك لا يقال لكل خبر نبأ، ولهذا قال تعالى ﴿ عم يتساءلون عن النبإ العظيم ﴾ وقال تعالى على لسان الهدهد ﴿ وجئتك من سبإ بنبإ يقين ﴾ وكأن القرآن بهذا الاختيار يصور أن معرفة الأسماء ليست معلومة لغوية فحسب بل نبأ عظيم ترتبت عليه الخلافة في الأرض وسجود الملائكة .

أخيرا : التكريم الأول الذي حدث لآدم كان تكريما لجنس البشر في شخص أبيهم آدم ومع ذلك فإن الله الكريم صرح بتكريم ذريته من بعده فقال ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾[43] لكن هذا التكريم لآدم وذريته ليس لكونه مخلوقًا من طين، وإنما جاء بعد أن اجتمعت له مقومات الاستخلاف :التسوية، ونفخة الروح، والعلم .فجاء ترتيب الآيات ترتيبًا بلاغيًا مقصودًا، ينقل القارئ من تكريم الخِلقة إلى تكريم المعرفة، ثم إلى تكريم الطاعة.

المحور الثالث ـ موقف الوسوسة والغواية :

في موقف التكريم المهيب ومشهد سجود الملائكة أجمعين لآدم برز عدو في تلك اللحظة وأبى السجود والمشاركة في حفل التكريم ذلك ، كان ذلك العدو الكامن هو إبليس ، سفيه الجن، عندما تأججت في قلبه جمرة الحسد وأعلن سبب رفضه لذلك الأمر صراحة فقال عندما سئل عن سبب امتناعه قال ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾[44] وقال في آية أخرى معلنا كبره : ﴿أأسجد لمن خلقت طينا ﴾[45] وقال أيضا ﴿ أرأيتك هذا الذي كرمت علي لأحتنكن ذريته إلا قليلا ﴾[46] ويفهم من الأجوبة المتنوعة أن السبب هو حسده لآدم كيف يكرم وهو مخلوق من طين وإبليس يرى في نفسه أن مادة خلقه وهي النار أعظم من الطين ، وكأنه يقول عند اعتراضه : أنا أولى بالتكريم من هذا الذي كرمته وهو لا يستحق هذا التكريم وهذا الاستخلف في الأرض ، وما يعنينا في هذا البحث هو الجزئية التي تتعلق بآدم في هذه القصة مع هذا العدو الذي حذر الله منه بعد رفضه السجود مباشرة فقال تعالى : ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾[47] ونلاحظ دقة التعبير القرآني حين اختار اسم الإشارة (هذا) ليدل على قرب هذا العدو من آدم ومن ذريته من بعده وكذلك عدول القرآن عن ذكر اسم إبليس هنا في موقف العداوة هو احتقار له وتصغيرا لشأنه وضعف كيده برغم عداوته ، قال تعالى ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾[48] والعجيب أن الله حذر آدم من إخراج إبليس له ولزوجه من الجنة بينما كل تهديدات إبليس ووعيده كانت موجهة لذرية آدم وليس لشخص آدم ، قال تعالى ﴿ قال رب بما

أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ﴾ وقال (أرأيتك هذا الذي كرمت علي لأحتنكن ذريته إلا قليل﴾[49] وقال ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾[50] وقال (لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ثم لا تجد أكثرهم شاكرين ﴾[51] وقال (ولأمنينهم ولأغوينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ .

الملاحظ أن تهديد إبليس ووعيده كان موجها لذريته وليس لآدم ! لماذا؟

أولا : لأن إبليس حسد آدم على التكريم والاستخلاف في الأرض فهو عدو للإنسان الخليفة وليس لآدم في شخصه ، ولوجوده إبليس بين الملائكة، وهو من الجن ، وقربه من الملأ الأعلى مكنه أن يعلم أن هذا المخلوق خلق ليكون خليفة في الأرض بعد أن أخبر الله ملائكته بذلك ، فهو لم يعد غيبا ويعلم أن هذا المخلوق سيموت كما تموت جميع المخلوقات وسيبعث كما تبعث جميع المخلوقات لذلك قال ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾[52] ويدل على ذلك أيضا قوله : ﴿ فأنظرني إلى يوم يبعثون ﴾[53] فكيف سيطلب الإنظار إن لم يكن يعلم أن هناك موت وبعث ؟ وكيف يهدد ويتوعد ذريته إن لم يكن يعلم أنه سيكون له ذرية يستخلفون من بعده في الأرض ولعلمه أن مكان الصراع سيكون الأرض وأن الحرب لن تنتهي بانتهاء آدم وأن الشيطان أعلنها حربا على مشروع الاستخلاف لا على شخص آدم .

ثانيا : لأن إبليس لم يكن في مقام إعلان حرب على شخص آدم لأن آدم مخلوق مكرم اصطفاه الله ، وأسجد له الملائكة وهو في دار النعيم وتحت عناية ربه، وهو من عباد الله المخلصين الذين اعترف إبليس نفسه بأن لا سسلطان له عليه ، قال تعالى ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾[54] فهو يعرف أنه لن يسلط عليه وفي مواجهته المباشرة سيكون الشيطان الحلقة الأضعف وأن آدم ليس الحلقة التي يمكن كسرها ، إنما الحلقة الأضعف ستكون في بعض ذريته من العصاة والغاوين ، قال تعالى ﴿ إلا من اتبعك من الغاوين ﴾[55] فوجه إبليس تهديده ووعيده لذرية آدم وهذا التهديد والوعيد منشؤه غرور إبليس وكبره وتعظيمه لنفسه ﴿ أنا خير منه ﴾[56] واحتقاره لخلق الطين جعله يتصور أنه الأقوى في المعركة فجاءت تهديداته كلها مؤكدة بمؤكدين اللام ونون التوكيد الثقيلة فهو يقول (لأغوينَّهم .. لأضلنَّهم ؟؟ لأمنينَّهم .. لآتينَّهم .. لأقعدنَّ لهم .. لآمرنَّهم) فتلاحظ مع ذرية آدم وصل به الغرور والعداوة إلى أنه هدد بجعل ذريته أتباعا له يأمرهم فيطيعوه فيتحولوا إلى عبدة للشيطان؛ لذلك قال تعالى: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان ﴾[57] ، فإبليس تجاه ذرية آدم يهدد ويتوعد ويؤكد بأنه سيجعل

منهم جنودا وأتباع، ولكنه مع آدم في موقف إنكسار ليس له إلا الوسوسة والغواية والاستزلال، ثم إن ميدان المعركة مع الذية أوسع وأطول ؛ لأن الإنسان صار في دار اختبار ومعه شهوات النفس ومغريات الدنيا وهذه المعطيات تجعل فرصة التغلب والاستحواذ لإبليس أكبر .

لطيفة بيانيـــــة : في قوله تعالى : ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ثم لا تجد أكثرهم شاكرين ﴾[58] لاحظ دقة اختيار القرآن الكريم للفظ لأقعدن الذي يدل على الملازمة والمداومة والإقامة على الطريق المستقيم ، ولو جئت تستخدم الفعل جلس أو وقف مكث لما أدى أحدها المعنى المراد ككلمة قعد؛ لأن من معاني القعود دوام المكث والملازمة، والكمون والتربص، قال تعالى في وصفه للمنافقين: ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ﴾[59] فهم مكثوا في المدينة ولم يخرجوا للقتال ، وكذلك قوله : ﴿ والقواعد من النساء ﴾[60] ويعني التي انقطعت عن الحيض والزواج والولد لكبر سنها وهذه الحالة دائمة في سنها ، وهذا اللفظ يصور إبليس ملازما لطريق الهداية متربصا بكل من يمر به، كأنه قد أعد كمينا كما يفعل قطاع الطرق يتربصون بكل من يمر به وعندما يقع في كمينهم يهجمون عليه وهذات بالضبط ما قاله إبليس: ﴿ لأقعدن لهم صراط المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾[61] ولاحظ دقة التعبير بحرف العطف ثم الذي يفيد التراخي وهذا يدل على ملازمة الشيطان للطريق وصبره حتى يمر به المؤمنون ، وهي تؤكد أن هذا الكمين دائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وما يؤكد الملازمة والدوام استعمال مؤكدين للفعل لام التوكيد ثم نون التوكيد الثقيلة ، وعبارة صارطك المستقيم تحدد أن الشيطان لن يطارد البشر في كل الطرق والدروب فلا حاجة لأن يجهد نفسه وراء من ضلوا فقد كفوه مؤنة الوسوسة والإغواء لكنه مترصد على طريق الهداية فقط لأن غايته هي إغواء الشاكرين ، كما قال ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾[62] فالآية تصور مشهدا حيا متحركا صور القرآن به معنى الإغواء إلى مشهد حسي يرى فيه السامع طريقا مستقيما وقاطع طريق كامن على الطريق متربص والسالكين لهذا الطريق يتعرضون لهجوم من كل الجهات من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ليصرفهم عن الطريق[63].

المشهد الأخير من القصة : وهذا المشهد ينتهي بهبوط آدم والشيطان إلى الأرض لتبدأ مرحلة آخرى منالصراع بين الشيطان وذرية آدم ، لكن كيف حدث هذا المشهد ؟

القرآن الكريم صور هذا المشهد في عدة آيات وبصياغات متنوعة ، اختار الأسلوب القرآني منها ثلاث مصطلحات : (وسوس .. دلاهما .. أزلهما) تكشف هذه المصطلحات أن الشيطان في هذا المشهد اتبع ثلاث خطوات :

الخطوة الأولى الوسوسة : قال تعالى ﴿ فوسوس له الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ [64] وقال أيضا : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماووري عنهما من سوآتهما ﴾[65] ويشير الإمام الطبري أن إبليس لم يُكره آدم وزوجه على المعصية، وإنما دعا وزيّن وخدع ؛ فالوسوسة إلقاء الكلام الخفي الذي يصل إلى النفس في صورة النصح، و أن إبليس أظهر نفسه في صورة الناصح المشفق، فقال كما حكى القرآن :﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[66]

فهو لم يأتِ بالمعصية في صورتها القبيحة، بل لبّسها بثوب الرغبة في الكمال ومناهما بالوصل إلى درجة الملائكة فلبَّس عليهم المنكر بلباس االمعروف، وهذا هو التزيين الذي توعد به [67] ، وكان مدخل الشيطان هو شهوات النفس، فالنفس بطبعها تحب الخلود والملك فجاء الشيطان من هذا الباب في صورة الناصح كما قال تعالى: ﴿ وقاسمهما أني لكما من الناصحين ﴾[68] وأكد هذا الأمر في سورة أخرى عندما قال: ﴿ ما نهاكما ربكما عن تلكما الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾[69] وربما تنوع الأسلوب من الاستفهام الطلبي هل أدلكم ؟ إلى الخبر المنفي والاستثناء (مانهاكما ربكما إلا أن تكونا ملكين﴾[70] يدل على استخدام الشيطان كل حيله للإغراء والإغواء ويكشف القرآن الكريم الهدف الحقيقي من الوسوسة لا أن يكونا ملكين أو من الخالدين كما زعم ؛ وإنما ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما إوإن كان الهدف الأساس لإبليس هو إخراجهما من الجنة ولكن كم قال الزمخشري لأن كشف السوءة أول مظهر محسوس لفقدان النعمة [71]، وأن كشف السوءة ليس امرا جسديا فقط وإنما هو إزالة لباس الكرامة والستر ، فهذا يصور الأثر النفسي للمعصية وشعور الإنسان بالذنب وانكشاف معصيته، وتذكره أن الله يراه وهو في غفلته تلك عن الله ويظن انه في خلوة وفي ستر ، هذا الشعور صوره القرآن بقوله ﴿ كما أخرج أبويكما من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾[72] ولعل الواقع الذي نشاهده أن الهدف الأول للشيطان هي عفة الإنسان وستره فيسعى ومعه شياطين الإنس بكل إمكاناتهم لنشر الرذيلة وكشف العورات ومحاربة الفضيلة .

الخطوة التالية التدلية : قال تعالى ﴿ فدلَّاهما بغرور ﴾ ودلَّى الشيء إذا أنزله من علو شيئا فشيئا[73] وهذا ينسجم مع سياق القصة والآيات التي أخبرت عنها بأن الغواية

كانت عن طريق الوسوسة والاستدراج، وهذا يتم شيئا فشيئا، وخطوة خطوة، فقوله (دلاهما) أي أنزلهما من المكانة التي كانا فيها شيئا فشيئا بالخداع والتزين ، وهنا لطيفة في هذا التعبير وهو دلى وهو مأخوذ من الدلو وهو الذي يجلب به الماء من البئر فهو ينزل ولكن في نزوله منفعة للشاربين فهو يدلى في البئر ثم يخرج ممتلئا بالماء ، وهذا ينسجم مع قوله ﴿ ما نهاكما ربكما عن تلكما الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ فهو زين لهما النزول بأن فيه خير لهما ومنفعة وهي تحقيق الملك والخلود ، وهذا أسلوب الشيطان أنه يزين المعصية ويظهرها -وهي نزول وسقوط – على أنها منفعة ومصلحة وخير فيدلي النفس البشرية كما يدلى الدلو إلى قاع الجب بهدوء فلا يشعر بسقوطه إلا حين يلامس القاع وهذا من روعة التعبير القرآني المصور .

الخطوة الأخيرة الزلل : والزلل هو العدول عن الطريق المستقيم من غير قصد إلى الانحراف ويقال زلت به القدم ولا يقال لمن تعمد الانحراف أنه زل[74] قال الشاعر :

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل[75]

أي ينزلق ويسقط اللبد عن جسم الحصان كما ينزلق الماء ولا يستقر على الصخرة الصماء ، والزلل يدل على هفوة عارضة لا على إصار وعناد ، وهذه كانت حالة آدم فما حدث من معصية كانت زلة استدرجه الشيطان إليها ودلاه بهدوء وزيّن له الفعل ، وأزلهما استعارة تمثيلية صور فيها آدم وزوجه وهم متبعان لأمر ربهما ثم حدثت منهما مخالفة أمر الله وأكلا من الشجرة المحرمة ، بمن يمشي ثابتا على الطريق المستقيم ثم زلت به قدمه فانحرف عن الطريق ووقع ، والزلة الوقوع فجأة دون انتباه وبسرعة ، وهذا ما حصل مع آدم فهو لم يتعمد ارتكاب المعصية بل استدج إليها حتى وقع فجأة ودون أن ينتبه حتى بدت لهما سؤاتهما ، وهذا لا يتعارض مع ماذكر سابقا في التدلية ، فتلك الكلمة تصور سبيل الشيطان في الاستدراج والتزيين حتى لا يشعر الإنسان إلا وقد وقع في المعصية ، أما أزل فتصور نتيجة التدلية والاستدراج ، ويمكن اختصار قصة الغواية في أن الوسوسة كانت بداية المعركة الفكرية لاقناع آدم بالأكل من الشجرة على أنها شجرة الخلد ، والتدلية هي الخطوات العملية التي اتبعها الشيطان مع آدم ليوصله إلى المعصية من خداع واستدراج ، والزلة لحظة وقوع المعصية والنتيجة هي الإخراج من الجنة ﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا ﴾[76] ولاحظ التناسب بين الأمرين ، فالزلة سقوط والخروج من الجنة هبوط وكلاهما نزول عن المقام العالي الذي كانا فيه، وتنتهي القصة بقوله تعالى: ﴿ اهبطا

منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾[77] لتبدأ بعد ذلك قصة **:** الصراع بين الشيطان وجنوده مع ذرية آدم ولعل الجولة الأولى من المعركة سقط فيها أحد أبناء آدم في حبائل الشيطان فقتل أخاه فأصبح من الخاسرين .

الخاتمة:

بعد هذه الجولة الأسلوبية في رحاب قصة آدم عبر المواقف الثلاثة نخلص إلى التالي :

1-الحوار هو الجانب الأبرز في قصة آدم وإن كانت القصة القرآنية عمومًا تقوم على مجموعة من العناصر الفنية كالأحداث والشخصيات والزمان والمكان، فإن العنصر الغالب في قصة آدم عليه السلام هو الحوار؛ إذ إن معظم أحداث القصة تُعرض من خلال حوار متتابع بين الله تعالى والملائكة، وبين الله تعالى وإبليس، وبين آدم وزوجه من جهة والشيطان من جهة أخرى .وقد أكسب هذا الأسلوب القصة حيوية وتأثيرًا، وجعل القارئ كأنه يشهد الأحداث بنفسه ، والحوار في قصة آدم من أبرز الوسائل الفنية في القرآن الكريم؛ لأنه لا يكتفي بعرض الحقائق، بل يجعل المتلقي يشارك في اكتشافها، ومن الناحية الأسلوبية نلاحظ أن القرآن استطاع بالحوار عبر كلمات قليلة أن يرسم شخصية كاملة لإبليس :شخصية متكبرة، معجبة بنفسها، معترضة على أمر ربها.

2- الإيجاز من أبرز سمات الأسلوب القرآني، ويعني أداء المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة ، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ فهذه الكلمات الثلاث لخصت مرحلة كاملة من الأحداث والنتائج ، وقد كان يمكن أن يقال: فخالف الأمر الإلهي فوقع في الخطأ وخسر ما كان فيه من النعيم ، لكن القرآن اختصر كل ذلك في تركيب بالغ القوة والإيجاز.

3-الحذف من الوسائل البلاغية التي يعتمدها القرآن لإشراك المتلقي في بناء المعنى، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ فلم يذكر القرآن تفاصيل الوسوسة هنا كما ذكرها في الأعراف وطه ، والسبب أن المقام في سورة البقرة ليس مقام تفصيل وسائل الإغواء، وإنما مقام بيان نتيجة المعصية وأثرها في مسيرة الاستخلاف. أما في سورة الأعراف، حيث المقصود التحذير من الشيطان، فقد فُصلت الوسوسة تفصيلًا أكبر، وهذا يدل على أن الحذف والذكر في القرآن محكومان بمقصد السورة.

4- التكرار ووظيفته البلاغية : قد يظن بعض الناس أن تكرار القصة نوع من الإعادة، غير أن البلاغيين يرون أن التكرار القرآني يؤدي وظائف متعددة، كتثبيت المعنى في

النفوس، وإبراز جوانب جديدة من الحدث، وخدمة مقاصد السور المختلفة، وتجديد التأثير النفسي.

فمثلاً يتكرر أمر السجود في أكثر من موضع، لكن الغاية تختلف: ففي البقرة يظهر تكريم آدم ، وفي الأعراف يظهر تمرد إبليس، وفي ص يظهر كبره واستعلاؤه، وفي الإسراء يظهر خطره على بني آدم ، فالحدث واحد، لكن زاوية التصوير مختلفة.

5-اختيار الألفاظ ودقة التعبير وهذه من أعظم مظاهر الإعجاز الأسلوبي في قصة آدم. فإذا قارنا بين الألفاظ المستعملة في وصف إغواء الشيطان وجدنا تنوعًا مقصودًا ،(أزلهما) في سورة البقرة:

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ والزلل يوحي بانحراف القدم عن الطريق المستقيم، وفيه إشعار بأن ما وقع لم يكن إصرارًا على المعصية بقدر ما كان وقوعًا في الخطأ ، (فوسوس) في الأعراف وطه ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ والوسوسة تصور العمل الخفي التدريجي الذي يتسلل إلى النفس دون ضجيج.وهي أنسب بسياق التحذير من مكايد الشيطان.

6- التصوير الفني من خصائص الأسلوب القرآني أنه يحول المعاني إلى صور حية ، ومن أجمل الأمثلة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾

فالقارئ لا يسمع خبرًا مجردًا، بل يشاهد مشهدًا متحركًا بدت لهما السوءات، فأسرعا إلى الستر، وأخذا يجمعان الأوراق، يخصفان بعضها فوق بعض.إنه مشهد حي ينبض بالحركة والسرعة والحياء.

حيث تتحول الفكرة إلى لوحة مرئية ومشهد منظور متحرك[78] .

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــــش:

(1) دلا ئل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – صحح أصلها محمد عبده – دار الكتب العلمية بيروت : 35 وما بعدها.

(2) سورة البقرة الآية : 36

(3) سورة الأعراف الآية : 20

(4) سورة الأعراف الآية 22

(5) ينظر تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – الدار التونسية للنشر 1984م : 1 : 420 ، 421
(6) دلائل الإعجاز – الجرجاني : 35، 36
(7) سورة البقرة : 29
(8) ينظر تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق عبد الله التركي – دار هجر للطباعة والنشر ط1 1422ه : 1 : 478
(9) سورة النمل : 64
(10) سورة يونس : 14
(11) التحرير والتنوير – ابن عاشور : 2 : 399
(12) سورة ص : 25
(13) سورة البقرة : 29
(14) سورة البقرة : 29
(15) سورة البقرة : 29
(16) سورة البقرة : 29
(17) سورة البقرة : 29
(18) سورة البقرة :30
(19) سورة طه : 120، 121، 122
(20) سورة ص : 70
(21) سورة الحجر 28
(22) مفاتيح الغيب – الفخر الرازي –دار إحياء التراث العربي بيروت ط 3 1420ه- : 19 : 145
(23)
(24) لسان العرب لابن منظور : مادة سوى
(25) ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور / 14 : 44
(26) ينظر الجامع لأحكام القرآن-القرطبي تحقيق أحمد عبد العليم –دار الكتب المصرية القاهرة ط2 1967: 10: 20
(27) ينظر الكشاف : : 2 : 477; و تفسير القرآن العظيم – ابن كثير : : 4 :554 و جامع البيان - الطبري : 14 : 31
(28) التحرير والتنوير / ابن عاشور / 14 : 45
(29) سورة الحجر : 29
(30) من يريد التفصيل في قضية السجود لأدم وهل كان هذا جائزا قبل الإسلام وهل ينافي التوحيد فلينظر في التحرير والتنوير لابن عاشور / 14 : 45
(31) سورة الحجر : 30
(32) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل - الزمخشري – دار الكتاب العربي بيروت ط 3 1407ه : 2: 577
(33) سورة الكهف : 49
(34) سورة الحجر : 29
(35) البقرة : 31
(36) ينظر جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري :1: 489،488
(37) ينظر التحرير والتنوير - ابن عاشور : 2 : 418، 419
(38) سورة البقرة : 30
(39) سورة البقرة : 31
(40) سورة البقرة : 29
(41) سورة البقرة : 31
(42) سورة البقرة : 29

(43) سورة الإسراء : 70
(44) سوزة الأعراف : 12
(45) سورة الإسراء : 61
(46) سورة الإسراء :62
(47) سورة طه : 117
(48) سورة النساء : 76
(49) سورة الإسراء : 62
(50) سورة الأعراف : 16
(51) سورة الأعراف : 17
(52) سورة طه: 120
(53) سورة ص : 79
(54) سورة الحجر: 40
(55) سورة الحجر: 42
(56) سورة ص : 76
(57) سورة يس: 60
(58) سورة الأعراف : 17
(59) سورة آل عمران : 168
(60) سورة النور : 60
(61) سورة الأعراف : 17
(62) سورة الأعراف : 17
(63) ينظر في ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق – القاهرة - الطبعة العاشرة 1982 : المجلد الثالث الجزء الثامن : 1266، 1267
(64) سورة طه : 120
(65) سورة الإعراف : 20
(66) سورة الأعراف : 20
(67) ينظر تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور : 9 : 59، 60
(68) سورة الأعراف : 21
(69) سورة الأعراف: 20
(70) سورة الأعراف: 20
(71) ينظر مفاتيح الغيب – الفخر الرازي : 14: 47
(72) سورة أأعراف : 27
(73) لسان العرب ابن منظور : مادة دلى
(74) المفردات في غريب القرآن -الراغب الأصفهاني - تحقيق صفوان عدنان داوودي – دار القلم –دمشق ط1 1412ه : مادة زلل : 381
(75) ديوان امريء القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – القاهرة : 22:
(76) سورة البقرة : 36
(77) سورة طه : 123